رؤية ابن البشر

(رؤ ١: ٩ — ٢٠)

الخوري نعمة الله الخوري

عانت الجماعات المسيحية المُقيمة في أفسس في أيام دوميسيانس من الإضطهاد فنُفيَ يوحنا، كاتب سفر الرؤيا، الى جزيرة بطمس الصخرية الواقعة قبالة الشواطئ التركية وهي تُدعى اليوم: باتينو وهناك نجد دير القديس يوحنا. أُبعِدَ الرائي لأنه كان يُبشّر بأمانة وكان شاهدًا حقيقيًّا للإنجيل وهو لا يُخاطب كنيسته بصفته الرسوليّة بل يُذكّر المؤمنين أنّه أخوهم وشريكهم في ظروف حياتهم القاسية فقد دُوِّنَ كتاب الرؤيا حين كانت الكنيسة مُهدَّدة من الإمبراطوريّة الرومانية.

في البداية سنستعرض الظروف التي تمّت أثناءها الرؤيا التي يجب أن تُدوَّن خطّيًا ثم سنعالج مضمون الرؤيا التي اختبرها الرائي؛ بعدها سنقارن بين هذه الرؤيا والظهورات في العهد القديم لنتعرّف أخيرًا على الألقاب الكريستولجيّة التي يتميّز بها ابن البشر.

١ . الظروف المُرافقة للرؤيا (آ ٩- ١٠)

يقول الرائي: «أنا أخاكم يوحنا الذي يُشارككم في الشدة ... كُنتُ في الروح، يوم الرب» (١: ٩- ١٠)؛ يُطلعنا يوحنا على ثلاثة ظروف كان يمرّ بها حين ظهر له إبن البشر: في البداية، يؤكّد أنّه كان يعاني من الشدّة والمحنة؛ بعد ذلك يذكر حالته النفسية (كُنتُ في الروح)؛ أخيرًا يُطلعنا انّ الرؤية حدثت في يوم الرب».

١ . أ . زمن المحنة

أُبعِدَ يوحنا عن كنيسته نتيجة قرارات بشريّة وأُرغِم على الإقامة في مكانٍ معزول ليتلقّى، بعيدًا عن أيّ تأثير آخر، كلمة الله وشهادة يسوع المسيح. في تاريخ شعب الله، كانت أوقات المحنة أزمنة مُلائمة للتقدّم على المستوى الروحي: يجب أن يذهب يوسف الى السجن ليستطيع كشف الخبايا والأسرار (تك ٣٩: ٢٠)؛ يجب أن يُسجن بولس لينال الكشوفات الإلهيّة (اع ١٦: ١٩)؛ يجب أن يُنفى أيضًا يوحنا الى جزيرة بطمس ليسمع كلمات ويرى رؤىً. في هذا الإطار يقول بولس إلى أهل كورنتوس: «إننا نحن الأحياء نُسلَمُ في كل حين الى الموت من أجل يسوع لِتظهر في أجسادنا الفانية حياة يسوع أيضًا» (٢ كو ٤: ١١).

١ . ب . «كنتُ في الروح»

تُفضّل بعض الترجمات عبارة: «إختطفني الروح» للإشارة الى خبرة روحية دون أن يكون المقصود الخروج من العالم المحسوس الى عالم آخر؛ لا يقول الرائي إنّه يمتلك الروح القدس مثل كلّ مسيحي بل يُؤكّد بالأحرى أنّ قوّة الروح استولت عليه والهدف الإلهي تدوين المشاهدات وإبلاغها للمؤمنين. نجد هذا الإختطاف الروحي مرارًا في كتاب الرؤيا (٤: ٢؛ ١٧: ٣؛ ٢١: ١٠) وقد اختبر بولس هذا الإختطاف العجائبي (٢ كو ١٢: ٢) فسمِعَ آنذاك كلمات لا تُلفَظ ولا يحلُّ لإنسانٍ أن يذكرها. في هذا المجال، يقول بولس الى الرومانيّين: «لستم تحيون في الجسد بل في الروح» (روم ٨: ٩)؛ لسنا أمام مُشاهدات تحقّقت بأُم العين بل يُعبّر الرائي بكلمات والفاظ ملموسة عن أمور لا يُمكن التعبير عنها لأنها تنتمي الى عالم الله.

١ . ج . يوم الرب

إن عبارة «يوم الرب» هي مُلتبسة فهي تُشير، في تعليم الأنبياء، الى يوم القضاء الذي فيه يُجري الله حُكمه على إسرائيل المتصلّب في خطيئته (صف ١: ١٥) وفي أثناء الجلاء يُصبح يوم الرب موضوع رجاء إذ إنّ غضب الله ينقلب على ظالمي إسرائيل (ار ٥٠: ٢٧)؛ في العهد الجديد، استعمل الرسولان بطرس وبولس عبارة «يوم الرب» للإشارة الى اليوم الذي يعود فيه الرب بشكل غير مُتوقّع ومُفاجئ، مثل اللص في الليل، ليُجري القضاء (١ تس ٥: ٢؛ ٢ تس ٢: ٢؛ ٢ بط ٣: ١٠). لكنّ الرائي يستعين بعبارة «يوم الرب» للإشارة الى يوم الأحد، يوم قيامة الرب من بين الأموات، حين يجتمع المؤمنون للاحتفال بالإفخارستيا وينتظرون فيه عودة الرب القريبة. فُصِل هذا اليوم جانبًا عن أيام الأسبوع لأنّه يوم فريد

بين سائر الأيام: يعبد المؤمنون الله في هذا اليوم الأول من الأسبوع (يو ٢٠: ١) الذي حلّ محلّ السبت اليهودي ليُعطي الأيام اللاحقة معناها الحقيقي.

باختصار، إنّ رؤية إبن البشر التي اختبرها الرائي حين كان منفيًّا لها ظروف خاصة: في مكان معزول عن العالم (جزيرة بطمس)، وفي وضع روحيٍّ مُلائم (في الروح)، وخلال يوم مُميَّز (يوم الرب)، نَعِم يوحنا بهذا الإنخطاف الروحي الذي يقتضي وجود حالة نفسيّة مُلائمة ووقتًا مُناسبًا.

٢ . الأمر بالكتابة (آ ١١)

يجب أن يُدوِّن يوحنا الرؤيا التي رآها في كتاب يُرسله الى الكنائس السبع وولكنّه يتوجّه، من خلال هذه الكنائس المحليّة، الى الكنيسة جمعاء فالعدد سبعة يرمز الى الكمال؛ يُفضّل روح الله وسيلة الإتّصال الكتابية دون الإهتمام بالكرازة الشفوية ليستفيد كلّ المؤمنين وَعَبْر كلّ العصور من هذه المُكاشفات السماويّة. نُشير هنا الى أنّ الأمر بالكتابة سيظهر مرّة ثانية في نهاية المقطع الذي نعالجه (آ ١٩) حيث يجري الحديث عن تصميم كتاب الرؤيا.

٣ . مضمون الرؤيا (آ ١٢- ١٦)

يُطلعنا الرائي في هذا الآيات على أوصاف ابن البشر الذي رآه في تلك الجزيرة النائية.

٣ . أ . « التفتّ لأنظر الى الصوت الذي يخاطبني » (آ ١٢)

هذه الصورة غريبة، لأنه من المفروض ان يلتفت الرائي ليرى الشخص الذي يخاطبه ولكنه يقول انه التفت ليرى الصوت ومن الواضح ان الصوت نسمعه ولا نراه؛ من الطبيعي ايضاً ان يبقى الرائي على ما هو عليه، فيسمع الصوت دون ان تكون هناك ضرورة للإلتفات! غير انّ نية الرائي هي واضحة: لا يرى الرائي المسيح بأمّ عينيه، بل هو تمتّع باختبار روحي، فهو يسمع اكثر من انه يرى. لقد جاء يسوع على غفلة من حيث لم يتوقّع الرائي ظهوره: يجب ان يلتفت الرائي ليراه كما فعلت المجدلية التي التفتت لترى يسوع القائم من القبر (يو ٢٠ : ١٤).

حين التفت الرائي رأى سبع مناور من ذهب: يكتب يوحنا الى كنائس محليّة في اسيا الصغرى وهذه الكنائس تقع على خط البريد في الإمبراطورية الرومانية. شبّه يوحنا الكنيسة بالمنارة وهو يتأثّر بشكل واضح بنبوءة زكريا (زك ٤: ٢، ١٠) التي تذكر منارة واحدة عليها سبعة سُرج في حين أنّ كتاب الملوك الأول يذكر خمس مناور عن يمين المذبح وخمسًا عن شماله (١ مل ٧: ٤٩). نتذكّر هنا كلام الرب يسوع الذي أورده متى في عظة الجبل حيث تُعتَبر الكنيسة نور المسيح في ظلمات العالم: «ليضئ نوركم امام الناس» (مت ٥: ١٤؛ رج فل ٢: ١٥).

الذهب يُشير الى أنّ الكنيسة أُنشِئَت في بداية تاريخها على الأرض لتكون شاهدة للمسيح في طابع يتلاءم مع مجده الإلهي المُتمَثِّل بصورة الذهب.

٣ . ب . «رأيت بين المناور ما يُشبه ابن البشر» (آ ١٣)

ظهر في وسط هذه المنائر ابن الإنسان، فالمسيح ليس بعيداً عن الكنيسة بل هو يعيش معها وبين أبنائها ليساعدهم في تحمّل المِحن. استعمل دانيال عبارة «إبن الإنسان» (دا ٧: ١٣) ونحن نستطيع أن نعتبر أنّ رؤيا دانيال ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقطع الذي نعالجه؛ يرد لقب إبن الإنسان بتواتر في الأناجيل (٦٩ مرة) حيث يُشير أحيانًا الى المسيح الديّان: «سوف ترون إبن الإنسان جالسًا عن يمين القدير، وآتيًا في غمام السحاب» (مر ١٤: ٦٢). نُلاحظ في (آ ١٦) إنّ صورة القضاء لا تغيب عن إبن البشر الذي يحمل سيفًا مُرهف الحدّين. رأى يوحنا يسوع القائم من الموت المُستعدّ للدينونة لأنّ القضاء أُعطِيَ لإبن الإنسان (يو ٥: ٢٢) ليُكَرَّم في وضعه البشري الذي عرف الإهانة والرفض والصلب: إنّ ابن البشر هو شخص إلهي ظهر في جسد بشريّ.

يلبس ابن الإنسان ثوباً طويلاً: كان عظيم الكهنة في العهد القديم يلبس ثوبًا طويلاً (خر ٢٨: ٤ ي) وتُشير الصورة المُستعملة الى أنّ المسيح هو كاهن تُلامس ثيابُه الكهنوتيّة الأرض ليمنح سُكّانها الخلاص. يشدّ إبن البشر وسطه بزنار من ذهب وهذه إشارة الى أنّ الإنفعالات النفسيّة يُمسكها الذهب الذي يختصّ بالألوهة.

٣ . ج . لون الرأس والعينين (آ ١٤)

كان رأس ابن البشر وشعره أبيضين كالثلج: الصورة مأخوذة من نبوءة دانيال (دا ٧: ٩) للإشارة الى أنّ ابن البشر يتحلّى بنفس الصفات التي يتميّز بها قديم الأيام في رؤيا ذاك النبي. ان اللون الأبيض المرتبط بالرأس هو لون الألوهة، لون الغلبة والانتصار: شعره الأبيض يدلّ على ازليته، فهو كائن قبل الدهور منذ بداية الكون حين كان عند الله ساعة الخلق. تسبر العينان أعماق الأنسان وتكشف نوايا القلب، ويُذكّرنا بهاء عينيه الساطع كلهب النار بصورة العليقة الملتهبة التي ظهر فيها الله لموسى (خر ٣ : ١ ي) علمًا انّ نبوءة دانيال التي ذكرناها اعلاه (دا ٧: ٩) تربط حضور الله بالنار.

٣ . د . رجلان من نحاس وصوت قويّ (آ ١٥)

هذا النحاس هو مزيج من الفضة والذهب وهو أصبح

نقيًّا بعد أن أُحمي في الأتون المُستعر: ان ابن الإنسان هو صلب وقوي وليس سريع العطب مثل تمثال الخزف. إن تشبيه صوت إبن البشر بالمياه الغزيرة ربما يعود الى وجود الرائي على شاطئ جزيرة بطمس التي نُفي إليها وهناك إختبر صوت الأمواج التي تتكسّر بقوة على الصخور.

٣ . هـ . كواكب في اليد وسيف في الفم ووجه كالشمس (آ ١٦)

يحمل إبن البشر في يده اليمنى سبعة كواكب: يملك الرب يسوع سلطاناً على السماء. فهو يحمل الكون بيده اليمنى، يد البركة والعناية الإلهية. تشير الكواكب السبعة الى الكنائس السبع التي يحميها المسيح بعطفه وعنايته. ولكن هذه الكواكب السبعة ترمز في النهاية الى الكنيسة والعالم اجمع. السيف الذي يخرج من فم ابن الإنسان يشير الى الدينونة التى سيدين بها الأشرار والمضطهِدين: تقول الرسالة الى العبرانيّين إنّ كلام الله أمضى من كلّ سيفٍ ذي حدّين (عب٤: ١٢). نرى في نفس الصورة عناية الله (يده اليمنى) وقضاءه العادل (السيف). وجهه كالشمس: لا تستطيع العين ان تتحمّل بهاء المسيح القائم من الموت. فمن رأى الله هلك؛ لذلك ارتمى الرائي عند قدمي يسوع كالميت.

باختصار نقول إنّ رائي بطمس إختبر في الآيات ١٢- ١٦ أوصافًا يتميّز بها إبن البشر ونحن لا نجد ما يُشبهها في سائر كتب العهد الجديد: إنّ إبن البشر هو كاهن وديّان وأزليّ يُمسك الكون بعنايته ويُبعد عن المؤمنين خطر الإضطهاد.

٤ . رؤيا ابن البشر وظهورات العهد القديم (آ ١٧)

كما ظهر الله للأنبياء في العهد القديم فخافوا من اتّصالهم به (حز ١: ٢٨؛ دا ٨: ١٨) هكذا اختبر الرائي التجلي الإلهي، فأضحى خائفًا تحت تأثير الرؤيا. كذلك حدثت أمور مُشابهة مع زكريا الذي خاف حين ظهر له ملاك الرب ساعة تقديم البخور (لو ١: ١٣) كما أن الرعاة خافوا خوفًا عظيمًا حين ظهر لهم ملاك الرب (لو ٢: ٩).

حين يقع الخوف، يُشجّع الله مُختاريه ويُشدّدهم ويُعطيهم القوة ليستطيعوا أن يتحمّلوا بهاء الألوهة وليتمكّنوا من تنفيذ المهمة الإلهيّة الموكولة إليهم. في الظهورات الإلهيّة، نجد عبارة «لا تخف» بتواتر (تك ١٥: ١؛ ٢٦: ٢٤؛ قض ٦: ٢٣) وهكذا سيتجاوز رائي بطمس خوفه حين يختبر وجود إبن البشر في حالة الألوهة.

وضع إبن البشر يده اليمنى على رائي بطمس: التناقض واضح في الصورة : كيف يحمل المسيح الكواكب السبعة بيده اليمنى ويلمس في الوقت عينه يوحنا؟ اين وضع الكواكب في تلك اللحظة؟ طبعاً لن نتوقّف على مادية الصورة. فالمسيح ينحني من عليائه ليرفع المؤمنين من سقطتهم وليقيم معهم حواراً.

٥ . الألقاب الكرستولوجيّة لإبن البشر (آ ١٨)

تتوالى الألقاب الكريستولوجية. فصورة الأول والآخر التي نجدها في نهاية آ ١٧ تنطبق على الله (اش ٤٤ : ٦): يسوع هو موجود قبل الخلق وفيه يجد التاريخ نهايته وكماله. أنا الحي، كنت ميتًا: يعتبر الإنجيل الرابع مرارًا أنّ يسوع هو الحياة: كانت الحياة بيسوع (يو ١: ٤)؛ الإبن له الحياة في ذاته (يو ٥: ٢٦) وهو القيامة والحياة (يو ١١: ٢٥). مات المسيح على الصليب ليفدي احباءه وها هو الآن حيّ يعيش مع كنيسته.

يملك إبن البشر مفاتيح الموت ومثوى الأموات: اخضع المسيح الممجّد مثوى الأموات ونحن نعلم أنّه أعطى لبطرس مفاتيح الملكوت لأن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة التي أسّسها الرب يسوع على سمعان بطرس (مت ١٦ : ١٨).

٦ . الأمر بالكتابة وتصميم كتاب الرؤيا (آ ١٩)

قال إبن البشر للرائي: «أكتب»: ان المسيح هو الذي يعطي الأمر بالكتابة وليس الله: لقد انتقلنا من العهد القديم الى العهد الجديد.

«أكتب ما رأيت، ما هو الآن وما سيحدث بعد ذلك»: نجد في هذه الآية تصميم كتاب الرؤيا لأنّ الأمر بالكتابة يتعلّق برؤية إبن البشر (رؤ ١: ٩- ١٨) التي رآها يوحنا (ما رأيت)، وبالرسالة الى المدن السبع (الفصلان ٢- ٣) وهي تُمثّل الأمور الكائنة أثناء حقبة الكنيسة (ما هو الآن)، والأحداث الكبيرة النبوية (الفصول ٤- ٢٢) التي ستظهر حين ستنتهي حقبة الكنيسة (وما سيحدث بعد ذلك).

خاتمة

ظهر المسيح ليوحنا في ابهى بهائه ومجده فعبّر الرائي عن اختباره بلغة مصوّرة تنبض بالحياة. ان المسيح هو الكاهن وهو أزلي يعيش مع كنيسته ويحميها بيده اليمنى. ينحني على المؤمنين في ساعات الشدة فيرفعهم من سقطتهم ويعزّيهم ويقويهم ليتحملوا الصعوبات. بعد هذه الرؤيا، فهِمَ الرائي معنى الألم والإضطهاد: سيتحمّل الشدة والضيق ويطلب بالتالي من رفاقه في الكنائس ان يثبتوا في ايمانهم لينالوا اكليل المجد الذي وعد به يسوع اصفياءه.